انفتاح الدلالة وثراء المعنى في نص الإبراهيمي

Significance exposure and the richness of meanings in al-Ibrahim's texts

الدكتورة: عالمة خذري

قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة عباس لغرور خنشلة (الجزائر)

مخبر الشعرية العربية جامعة باتنة 1.

Khedri.alma@univ-khenchela.dz

تاريخ الإيداع: 2022/08/15 تاريخ القبول: 2022/11/14 تاريخ النشر: 2023/03/15

ملخص:

يتميز الخطاب النثري الإبراهيمي بفيض الدلالة وغزارة المعنى وكثافته، مما يجعل منه خطابا يشتغل على عدة أنساق دالة، مثل النصوص الإبداعية، اللغة، الصورة، الكتابة التاريخية، وقد أودع الكاتب كل ذلك في كتابه عيون البصائر خاصة، الذي يمثل القوة الإبداعية في خطابه الأدبي.

الكلمات المفتاحية: خطاب؛ إبداع؛ دلالة؛ انفتاح؛ لغة.

Abstract:

The prose discourse of Al-Ibrahimic is characterized with significance and richness of meanings, which makes it a discourse that has many significant patterns, such as creative texts, language, image, and historical writing. The writer has put all of this in his book entitled "Aouyoun Al-Bassair" which translates "Insights' Eyes", which represents the power of creativity in his literary discourse.

Key words: Discourse; Significance; Exposure; Patterns; language.

مقدمة:

يشكل الخطاب النثري الإبراهيمي، ظاهرة لافتة في الأدب العربي في العصر الحديث، لما يتميز به من فيض في الدلالة وجمال في المعنى، أحدث أثرا داخل الحركة الأدبية واللغوية في الجزائر والعالم العربي؛ أدت إلى إثارة فضول القارئ العربي لاستكشاف مضمونه وخصائصه الفنية من أجل الوصول إلى دلالة النص وعمقه.

من هنا ظل هذا النص محتفظا بحيويته وثرائه، واستحق أن يكون محل اهتمام الدارسين الأكاديميين، يتناولونه بالدراسة والنقد فيحللوا عناصره ويربطوه بمرجعياته التراثية ويوضحوا تأثيرات هذا الماضي فيه.

ولذلك رأينا أن نعرض لهذه الظاهرة في هذا العمل الأدبي للوقوف على الأفكار العميقة التي تضمنتها نصوصه الأدبية التي تطفح بالتحولات المعرفية المختلفة التي تعمل على التحول والتوالد والتجاوز من أجل إيجاد معان جديدة وصور مرتبطة بهذا العمل.

هذا ما جعل من أعماله الأدبية أعمالا ثرية كثيفة مليئة بالدلالات والمعاني التي تحتاج إلى دراسات تأويلية وأدوات منهجية قادرة على استخراج مضمرات نصه الذي تحول إلى ينابيع مجاز تفيض بالدلالة وتطفح بجمال المعنى، وقد أثارت هذه الدراسة جملة من التساؤلات حول الموضوع وهي:

ما الدلالات النظرية التي يفيض بها نص الإبراهيمي؟ ما خصوصية هذه الدلالات؟ ثم ما هو منهجه وأسلوبه في الكتابة؟ وكيف استثمر النظام العرفاني في ثقافته الأدبية؟

لقد لفت أدب الإبراهيمي أنظار الدارسين المعاصرين، فبحثوا في كيفية إبداعه وآلياته للولوج إلى كثافة التجربة الجمالية في أدبه لاسيما في دراسات الأكاديميين، والملتقيات الوطنية على غرار المنجز الأدبي في فكر البشير الإبراهيمي في جامعة برج بوعريريج، ونص الإبراهيمي ما زال بكرا يحتاج إلى الكشف عن صور كثيرة من صور الإبداع الفني.

الهدف من الدراسة هو الكشف عن تجربة الإبراهيمي الأدبية، والبحث عن الكيفية التي تشتغل بها آلية التعضيد التأويلي في نصوصه الأدبية.

اعتمدت الدراسة المنهج التأويلي، مستثمرين في كل ذلك آليات الوصف والتحليل لمقاربة النص.

1. الانفتاح الدلالي في نص الإبراهيمي:

القارئ لنص الإبراهيمي يلاحظ عليه غموضا في المعنى وفيضا في الدلالة يصعب إدراكه والوصول إلى دلالته العميقة لصعوبة اللغة التي يستعملها والمعاني التي يسوقها في كتاباته، فقد كان لتكوينه التعليمي الأثر الواضح في ميوله إلى موروث الأجداد في الأدب العربي، و" كانت ثقافته العربية العميقة وحفظه الموفور للمقامات والخطب والأشعار، وشوارد الأمثال، ونوادر اللغة، أهلته لهذه المنزلة، وجعلت منه خير ممثل لهذه المدرسة"[1]

فحين نقرأ نصوصه نكتشف لغة قوية عميقة الدلالة ذات ألفاظ دقيقة تحويلية توليدية خصبة يراعي فيها الموضوع المتناول، فنجده يكتب في المقال الاجتماعي، بلغة تختلف عن لغة المقال السياسي مثلا، ويخوض في مواضيع منتقية بلغة راقية تجعل القارئ يحس بأنه " أمام موسوعة أدبية من طراز رفيع يرتقي إلى مصاف كبار الأدباء، ونستشف في مقالاته جزالة الألفاظ وقوتها، وتناسق العبارات وتجانسها وتآلفها، وكرم المعاني وعلوها وتآلفها، وأصالة اللغة وفصاحتها وفخامتها"[2].

فهي لا تكاد تخلو من الألفاظ العربية الصعبة، ليس من أجل الإشكال على القارئ، بل لزيادة المعنى قوة والمبنى دقة بالإضافة إلى الإكثار من المترادفات والأسماء المشتقة والكلمات الدخيلة، مما يدل على تحكمه في اللغة وتوجيهها الوجهة التي يريد.

فأعماله تعتمد على ثقافة موسوعية في الفلسفة والتصوف واللغة والفقه والتراث، ولذلك تميز النص عنده بتفجير معرفي وتشعب دلالي، ينفتح على أكثر من معنى.

فهو يمثل ظاهرة مميزة الدلالة في الإنتاج الأدبي العربي، لما يتسم به من لغة أدبية قوية يستمدها من النص الجاهلي والعباسي، فشكل ذلك مصدر قوته وبيان قدرته في التشقيق والتأثيل وبناء المفهوم.

ويحيل كل نص أدبي يبدعه على جملة معلومة سلفا من النصوص الأدبية التي يستحضرها استحضارا فوريا يشتغل على نسق دوالها اشتغالا منتجا، وتعد خاصية التفاعل بؤرة التدليل على فاعلية الانزياحات اللغوية وتقاطعاتها النصية التي تولد سلسلة من الدلالات والايحاءات في بؤرة النص الداخلي، ومساراتها الباطنية المستكنة في أعماقه، يقول: "أتمثله مقداما على العظائم في غير تهور محجاما عن الصغائر في غير جبن، مقدرا موقع الرجل قبل الخطو، جاعلا أول الفكر آخر العمل."[3]

ولهذا فإن خصوبة هذه التقنية تتحقق عنده بما يملكه من التجاذبات اللغوية الفاعلة ، وقراءاتها الإسنادية والعلائقية المرجحة لنسق لغوي يحقق أقصى درجة التفاعل والاستثارة النصية ، وهذا يعني أن القيمة الحجاجية للتفاعلات النصية تكمن في مستوى إثارتها للأنساق اللغوية ومدلولاتها "فالنص الذي لا يملك أطره التفاعلية نص سطحي ينوء بثقله لدرجة لا يملك ديناميته وتداخله الحيوي الخصب ، لأن النص شبكة علائقية من الصور التي تتفاعل

فيما بينها للتعبير عن المواقف المحتدمة والمشاعر الصاخبة بكل توترها واحتدام الشعور الدقيق ."[4]

وهو ما عمد إليه الإبراهيمي في نصوصه الأدبية واستثار بها مخاطبيه وجندهم في خدمة أهدافه، من خلال كتاباته الإبداعية التي استطاع أن يبلغ بها أعماق النفوس بأسلوبه العربي البليغ.

فهو من الأدباء الكبار الذين برعوا في الكتابة والخطابة باللغة العربية، وكان مولعا بأساليب القدامى مثل الجاحظ وابن العميد، والرافعي، من خلال العناية بالسجع والمحسنات البديعية والتشبيهات والاستعارات، مثل قوله " اللغة العربية في الجزائر ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها، وبين حماتها وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان مع المستقبل" [5].

فالإبراهيمي يؤكد حضورا مكثفا للغة العربية في تشييد اللحظة التاريخية في الجزائر، وفي تداخل لغته من لغات منقول منها حضاريا، وأبرزها اللسان اليوناني، فقد استفاد الكاتب من هذه الثقافات من خلال تفاعله مع نصوص اللغة العربية، وتوصل بأن للغة دخلا في توجيه الفكر وتصويب رؤيته للوجود.

ولذلك أكد على حقيقة مفادها أن الفكر العربي متى كان مقطوع الصلة بالبنية اللغوية، فإنه سيظل عقيما، ولا يغني القدرة على التفكير " لذلك دعا إلى تفكير عربي إسلامي، تشترك بنية اللغة العربية في بناء مضامينها، بالإضافة إلى المضامين الفكرية والعلمية العامة"[6].

وقد حصل تطور في فكر الإبراهيمي، وتحدد هذا التطور في الانتقال من التفكير بواسطة اللغة إلى التفكير في اللغة في حد ذاتها واعتبارها وسيلة من الوسائل التعبيرية التي تعبر عن تطور الأمة وتقدمها في المجال المعرفي والثقافي، وهي السبيل الأمثل للفعل الإبداعي الذي يسهم في البناء المستقبلي للثقافة العربية؛ فضلا على دعوته إلى تأسيس فلسفة تداولية تأخذ بالأسباب اللغوية للأمة العربية، وتمكنها من الحق في الإبداع الأدبي والفني، وهذا ما نلاحظه في خطبه التي كان يلقيها في المناسبات، والتي تتميز بجمالية أسلوبية ، مثل قوله: " دعونا بالقلم مرات أحزابنا السياسية إلى الاتحاد وبينا ما يجهلونه من ثمراته وفوائده. ودعونا إليه باللسان في

مجالس لا تحصى نوعنا فيها العبارات، فاخترنا للدعوة كثيرا من المناسبات التي يسهل معها الدخول إلى النفوس النافرة والتأثير على العواطف الفائرة"[7].

استطاع الإبراهيمي أن يبرز ذاته في صوغ العبارات وتبليغها بما يسمح بتوصيل الشحنة الدلالية المبثوثة في تعبيراته في سياق تداولي أصيل.

لا شك أن الإبراهيمي قد استفاد من الدرس اللغوي العربي ومن الثقافة العربية الأصيلة التي تمتد جذورها إلى التراث العربي في العصور الذهبية، فصارت جسرا مفتوحا بين هذه الثقافة القديمة والثقافة المعاصرة.

2. خصوصية الدلالة في كتابات الإبراهيمي:

استطاع الإبراهيمي أن يؤسس لنفسه كتابة من منظور ذاتي يختزل فيها الجمال وأناقة الأسلوب في الفكرة أو العكس حيث تغيب الفكرة أمام غلبة بلاغة القول ورونقه وذلك يعود إلى كون الكاتب يمزج في أفق الفعل الكتابي بين صلابة الأسلوب وانسيابه، وبين عمق الفكرة التي تمتح من مرجعيات ومشارب متعددة أبرزها الديني والأدبي نحو قوله في وصف الشباب الجزائري " أتمثله متساميا إلى معالي الحياة، عربيد الشباب في طلبها، طاغيا في القيود العائقة دونها، جامحا عن الأعنة الكابحة في ميدانها، متقد العزمات تكاد تحتدم جوانحه من ذكاء القلب، وشهامة الفؤاد ونشاط الجوارح". [8]

غير أن هذا السجع في الجمل، وهذا التوالد في الألفاظ، لم يمنع القارئ من التلذذ والاستمتاع بمستوى راق من النسج، تظهر فيه اللغة العربية في مظهر اللغة الماتعة يقول: "أتمثله واسع الوجود، لا تقف أمامه الحدود، يرى كل عربي أخا له، إخوة الدم، وكل مسلم أخا له، إخوة الدين، وكل بشر أخا له، إخوة الإنسانية، ثم يعطي لكل أخوة حقها فضلا أو عدلا". [9]
)

إن الإبراهيمي يتطرق إلى مجموعة من القيم الإنسانية داخل هذا النص، وفيها يظهر البعد الشخصي للذات الكاتبة، إذ يتجاوز الأمر مسألة الوصف إلى مسألة إعطاء الرأي ومناقشة الأفكار لنلفي ذواتنا – كقراء – أمام بنية شارحة تفسيرية وأحيانا حجاجية.

ولعلنا نلمس مجموعة من القيم التي يرغب الكاتب أن يغرسها في النشء الجديد، أهمها إنسانية الإنسان، يقول الإبراهيمي في وصف الشباب "أتمثله مقبلا على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنفع، إقبال النحل على الأزهار والثمار، لتصنع الشهد والشمع، مقبلا على الارتزاق إقبال العمل تجد لتجدَّ، وتفتخر لتفتخر، ولا تبالي ما دامت دائبة أن ترجع مرة منجحة ومرة خائبة". (10)

إن البعد الوصفي يغلب على طابع النص لكون الخلفية التي كتب بها خلفية تعليمية؛ إذ الكاتب يستعرض مجموعة من الصفات الحميدة والمعاني الرفيعة التي ينبغي للناشئة أن تتصف بها، لتصنع منها رجال المستقبل المعول عليها في صنع الحياة الكريمة، حيث حاول الكاتب أن يستثير ذات المتلقي من خلال نهج توليدي، يعتمد توليد المعاني وتجديدها من خلال الترادف والتكاثر في أسلوب تصويري عاطفي، يمتطي صهوة المحسنات البديعية المتمثلة في السجع والتشبيه والاستعارة ليلامس فكر المتلقي، ويجعله يتفاعل معه في حضور مستمر.

فالإبراهيمي كاتب متمكن من ناصية اللغة العربية، يوظفها بالطريقة التي يراها مناسبة، فتطيعه في استعمالها، ويلويها بحسب المجالات المعرفية التي يستخدمها فيها يقول " نحن أفراس رهان، منا السابق المصلي، ومنا الآبق المولي، كنا إرهاصا للنبوة ودليلا للضعف إلى القوة"[(11)]، فالكاتب يستعمل السجع ليحدث موسيقى، لها قيمة جمالية وفنية.

هكذا نرى كيف يتحول النص عند الإبراهيمي إلى ينابيع مجاز تفيض بالدلالة، وتنبع بالمعاني، تجعل القارئ يحس بمتعتها ، فالصور التي يرسلها عبر نصوصه ليست إلا مخزون الذاكرة، مما يدل على عمق امتداده في الماضي المعرفي، فهو ينطلق من تراث يعيد بناءه مستهدفا مجاوزته بالتحرر من سلطة نموذج السلف وآليات التفكير التي يكرسها في الواقع عن طريق الطرقية وأتباعها؛ وهذا يتطلب إعادة بناء شامل للفكر الجزائري ،من حيث هو أداة ومحتوى قوامها تدشين عصر جديد، يقطع الصلة مع الطريقة السابقة، التي كانت في حقيقتها وجوهرها امتدادا لأساليب التفكير القديم، ناصحا الشباب بالابتعاد عن حفظ المتون واجترارها دون وعي يقول: " لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها، بل أحفظوا كل ما يقوي مادتكم اللغوية، وينمي ثروتكم الفكرية، ويغذي ملكتكم البيانية، والقرآن القرآن ! تعاهدوه بالحفظ وأحيوه بالتلاوة، وربوا ألسنتكم على الاستشهاد به في اللغة والقواعد، وعلى الاستشهاد به في الدين والأخلاق، وعلى الاستشهاد به في الجدل، وعلى الاعتماد عليه في الاعتبار بسنن الله في الكون". [(12)]

فالإبراهيمي يحث الشباب بضرورة الاعتناء باللغة في تشكيل المعنى والدلالة، فجانب اللغة يكمن في الإمكانات التي تمنحها اللغة في صوغ العبارة وتبليغها بما يسمح بتوصيل الشحنة الدلالية المبثوثة في سياق تداولي.

ثم يؤكد على حفظ القرآن والاستشهاد به في مجال الدرس الأدبي، والتحلي بأخلاقه، لأن الهمة " الأخلاقية للإنسان أقوى من الأمر الواقع، وأصلب من حتمية الحدث؛ لأن الواقع القائم لا يستنفذ الإمكان الذي في يد الإنسان ولا الحتمية المنسوبة إلى التاريخ تستنفذ طاقته"[13].

فهو يؤمن بقدرة الإنسان على صنع تاريخه وتحويل مصيره... وكل ذلك معقود على الهمة الأخلاقية، فهي التي تصنع القيم بوصفها جسرا بين عالم الواقع والفعل الإنساني.

من هذا المنطلق أدرك الإبراهيمي دور الشباب في فهم القرآن وتقويم ألسنة الناشئة والتعمق في معانيه للوصول إلى دلالاته العميقة، لأن شباب الأمة " هو الدم الجديد في حياتها،

فمن الواجب أن يصان هذا الدم عن أخلاط الفساد، ومن الواجب أن يتمثل فيهم الطهر والفضيلة

والخير، ومن الواجب أن تربى ألسنتهم على الصدق وقول الحق، لا على البذاء وعورات الكلام"[14].

شبه الكاتب الشباب بالدم المتدفق في الجسم فيزيده نشاطا وحيوية بوصفه رمزا إشراقيا، وتداعيات حياتية، وصورة واقع من أجل البقاء حيا، وهذا التكثيف الدلالي هو طابع

الإبراهيمي في كتاباته وخطبه، فالصورة لا تتراكم ولا تتكدس بقدر ما تتولد مثلما تبين في النص السابق، إذ أن الصورة تتولد وتتحدد وتتدفق في توال مستمر.

كل هذا التخصيص والحس بدقائق الأشياء وتفاصيلها الحميمة، ووصف ما هو مجازي واستعاري وصفا دقيقا، يشكل خصوصية الصورة الفنية عنده ويعطيها بعدا دلاليا يتقاطع فيها الواقع بالرمزي.

3. منهج أسلوبه في الكتابة:

يعد الإبراهيمي صاحب منهج وأسلوب في الكتابة العربية، فهو يحافظ على اللغة العربية في نقاء أسلوبها وبلاغتها، ويضمن كلامه الجملة القرآنية، لأصالة بنية جملته واستقامة ألفاظها.

يشير الدارسون إلى أن أسلوب الإبراهيمي يتميز بخاصية التوليد الدلالي، وهي ذلك التمدد الأسلوبي لفكرة ما، حيث يتسع محيطها الأسلوبي ليشمل أكثر من عبارة، وذلك للتعرف على حجمها الأسلوبي.

إن احتفاء الكاتب بهذه الميزة، يعكس عنايته بالفكرة واهتمامه بالمعنى بحيث يوصله بأوضح السبل وأحسنها وأجملها، علما أن الإبراهيمي يستخدم التوليد بعدة أشكال كالأوصاف والنعوت كما في قوله: "أما عن الناس وأحوالهم، فقد عرفت هذا الشعور الفياض من الأحياء والمستضعفين بحقهم في الحياة. وهذا الإصرار الزائد على المطابقة به. وهذا المنطق الحكيم الذي يترجم تلك المطالبة وهذا البغض المتأجج للاستعمار ". (15)

يحضر في هذا النص التوليد عن طريق جملة من النعوت تؤكد موقف المستضعفين من الاستعمار، كما حقق هذا الوصف إيقاعا موسيقيا نتيجة التوازن في الوحدات "الشعور الفياض، الإصرار الدائب، البغض المتأجج..."

أما موضوعات كتاباته فمتعددة ومتنوعة، وإن غلب عليها الدفاع عن العقيدة الإسلامية واللغة العربية، وهو يعد بحق أبا المقالة الإسلامية ورائدها، فقد رافع عن القرآن وأركان الإسلام عقيدة وشريعة يقول " إن منكم من يحتقر لغة الأمة فلا يقيم لها وزنا، ومنكم من يحتقر دينها فلا يقرأ له حسابا... فيا ويحكم، هل هذا كله إلا من آثار الاستعمار في نفوسكم شعرتم أم لم تشعروا"(16).

وتعد مقالاته في كتاب عيون البصائر أنموذجا أصيلا لفن الكتابة النثرية عنده، تظهر فيه أبرز خصائص أسلوبه الأدبي، أشرنا إلى ذلك فيما تقدم من حديث في هذه الصفحات، كما يقول "في هذا الوطن الجزائري، شعب عربي مسلم، ذو ميراث روحاني عريق، وهو الاسلام وآدابه وأخلاقه " (17).

إن ما يميز به الخطاب الإبراهيمي إذن هو استعانته بكل المناهج، كالتاريخية التحليلية، والفلسفة النقدية والرياضية البرهانية، وهي تترجم كلها مدى أهمية الموسوعة المعرفية التي

تطبع ثقافة الإمام البشير، وخصوصا مدى تفتحه على ثقافة عصره، وهو الذي ورث تكوينا على يد علماء تقليديين.[18]

وقد استطاع الابراهيمي أن يملك ناصية اللغة، وأن يصرف ألفاظها في يده كما يشاء، ويغوص في المعاني فيبرزها، وكان يتعمقها حتى يحدث فيها ضربا من الفلسفة المنطقية".[19]

وإلى جانب ذلك، يتميز أسلوبه ومنهجه بالربط المحكم البديع بين المبنى والمعنى، أو بين الموسيقى التصويرية والدلالة التعبيرية، وكل ذلك في سجع مقل، وإيجاز غير مخل، فيقول " إن هذه الأمة أنجبت الجندي الذي يحرس الحق لا الجندي الذي يخرس الحق".[20]

وقد حرص الإبراهيمي بالإحاطة بالبلاغة والنحو باعتبارهما من الوسائل المعرفية الضرورية في الأدب، فيقول " في العربية تركيب الاستناد، والإسلام لا يرضى أن يسند إلى فرنسا الاستعمارية، ولا أن تسند هي إليه، وفي العربية التركيب المزجي، والإسلام وفرنسا كالزيت والماء لا يمتزجان إلا في لحظة التحريك العنيف".[21]

فقد أبدع الإبراهيمي في كتاباته فصارت البنية اللغوية عنده سرا عميقا جعله " يأخذ من النحو العربي شروحه، ومن المجاز البلاغي وضوحه ومن الفقه الديني طروحه، ليبعث الكل في سمو إشارة ودقة عبارة "[22]، يسير أدبه إلى ذروة الفن الأدبي، ينحو في ذلك منحى أبي عثمان الجاحظ في كتابته، دون أن يبدو عليه تكلف أو ضعف أو جدب في القريحة [23] يستمد أصالته من التراث الأدبي القديم على حسن السبك وجودة الحبك وبراءة التحبير، وكل ما تتطلبه معاني الأصالة.

4. النظام العرفاني في كتاباته:

إن خطابات البشير الإبراهيمي تحمل ثقافة عرفانية استمدهما من التراث العربي الإسلامي كالتصوف والفلسفة، والتيارات الإشراقية، التي تكرس رؤية خاصة للعالم، قوامها المشاركة والاتصال والتعاطف الوجداني، وهذا اللون المعرفي عنده، يمثل مزيجا من أصول الفقه، وفقه اللغة، والتصوف والفلسفة مقرونا بالفكر السياسي الجزائري في محاولة للاهتمام بالإفهام، فانظر إلى توظيفه للعبارات الفقهية الدينية في القضية المصيرية التي يمثل الاستعمار رأس مقدمتها " ولو أن الاستعمار كان فقيها في سنن الله في الأمم والطبائع

لأنصف الأمم من نفسه، فاستراح وأراح، ولعلم أن عين المظلوم كعين الاستعمار كلتاهما يقظة". [24]

لقد وفق الكاتب في الربط بين عين المظلوم وبين الاستعمار في اليقظة، مع البون الشاسع بين اليقظتين، وهذا يدل على جمع الاستعمار بين المتناقضات، وشدة تسلطه على البلدان المستعمرة، وأمثلة كثيرة أوردها الإبراهيمي في خطبه ومقالاته تشير إلى شناعة الاستعمار وظلمه.

والأهم في كل ذلك، أنه بهذا الأسلوب يستطيع أن يرفع أية قضية من قضايا مجتمعه، إلى درجة التحليل المعرفي ليجعل منها قضية عقلية كبرى " فتح مكتب قرآني بدون رخصة حكومية تتدحرج من محكمة إلى محكمة، ومن حاكم إلى حاكم حولا كاملا".

إن الفكر العقلاني، يطفح به منهجه وأدلته وبراهينه في خطاب عيون البصائر، يؤسر عين القارئ بصوره الخلابةّ؛ بما أوتي هذا الخطاب من حكمة وفصل الخطاب.

إن الفكر العرفاني الذي تأثر به الإبراهيمي، انتقل إليه من الموروث الثقافي السابق على الإسلام " وذلك منذ أوائل العصر العباسي، حيث أخذ يحتل مواقع أساسية في الثقافة العربية، الفكر الشيعي، والفلسفة الإسماعيلية بخاصة، إضافة إلى التصوف والفلسفة الفيضية وكل التيارات الإشراقية والعلوم السرية من كيمياء وتنجيم وسحر، طلسمات وغيرها "[25]

وقد تأثر الابراهيمي بهذا التراث العرفاني بشكل لافت في بعض النصوص التي اتخذت الصوفية مرجعا لها ،إلا أنه لم يكن يؤمن بالصوفية طريقا للخروج من الأزمة التي وقعت فيها المجتمعات العربية لأن بعض هذه الطرق أصبحت " في بلاد العرب والمسلمين وفي الجزائر بخاصة إضافة جديدة إلى محاولات الدس التي قام بها أعداء كثيرون للإسلام ، إن كان بنحل الأحاديث ، أو بالتأويلات المزورة للحقيقة أو ما شاع عند العديد من الحركات الباطنية فيقول :"أما والله ما بلغ الوضاعون للحديث ولا بلغت الجمعيات السرية والعلنية الكائدة للإسلام من هذا الدين عشر معشار ما بلغته من هذه الطرق المشؤومة "[26] لأنها حادت عن مسارها وسلوكها إلى إحداث وثنية إسلامية وتفريق المسلمين ،لذلك سعى الإبراهيمي إلى دراسة الثقافة العربية في إطارها المعرفي العام من أجل النهوض.

5. خاتمة:

توصلت الدراسة للنتائج التالية:

- خطاب الإبراهيمي يشكل صورا من الإبداع الأدبي، وسمو البيان العربي، وقد نحت كلماتها من لآلئ النثر الفني، ورسمت عباراتها من روائع الذوق الشعري، نكشف من خلاله نسجا متميزا من منهج الخطاب العربي المعاصر، وهو ما أصبح يعرف اليوم بسلطة النص.
- أنها مدرسة ذات أسلوبية قل مثيلها في منهجية خطابنا العربي المرسل، فهي تقترب بجذورها في أعماق التراث العربي القديم، وتمتد بفروعها إلى المعرفة الحديثة، غير أنها تزيد على ذلك كله بخصوصيات أخرى، هي أنها جزائرية عربية في التصدي للاستعمار، ومغاربية الالتزام في الدفاع عن الحرية، عروبية الانتماء في التأصيل الحضاري، وإسلامية المنهج في علم التصحيح العقدي.
- يعتبر الإبراهيمي أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل بل هي وعاء يحمل روابط يصلنا بكثير منها ويحمل إمكانات خفية يستمد منها فكرنا أسباب النهوض في منهجه العرفاني إلى الخروج من الوهم الذي يقود إلى التغيير الفعلي للواقع.
- راهن الإبراهيمي في منهجه العرفاني إلى الخروج من الوهج الصوفي إلى المعرفة الحقيقية التي تقود إلى التغيير والتجديد.

الهوامش:

(1) عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر،1983، ص 350.

(2) عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر،2009 ص 70.

(3) محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، (د. ت)، ص 296.

(4) خلود درماني، الإيقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، سوريا ،2004، ص58.

(5) محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 296.

(6) إبراهيم مشروح، عبد الرحمان طه، قراءة في مشروعه الفكري، ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2009، ص31.

(7) محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 363.

(8) المصدر نفسه، ص586.

(9) محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 582.

(10) المصدر نفسه، ص856.

(11) محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 585.

(12) المصدر نفسه، ص218.

(13) ابراهيم مشروح، طه عبد الرحمان قراءة في مشروعه الفكري، ص 46.

(14) محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص48.

(15) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج 2، ص 20.

(16) المصدر نفسه، ص 35.

(17) طالب الإبراهيمي أحمد، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، ج2، ص21.

(18) طالب الإبراهيمي أحمد، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، ج2، ص21.

(19) المصدر نفسه، ص 98.

(20) المصدر نفسه، ص 98.

(21) المصدر نفسه ، ص 132.

(22) المصدر نفسه ، مقدمة الكتاب.

(23) محمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1967، ص 65.

(24) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الامام محمد البشير الابراهيمي، مقدمة الكتاب.

(25) علي خذري، التاريخ العربي ومناهج الفكر الحديث، سؤال نقد العقل العربي في مشروع الجابري، منشورات جامعة فيلاديلفيا، ط1، الأردن ،2019، ص105.

(26) محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، مكتبة الرضوان، ط1، الجزائر، 2008، ص7.

المصادر:

1. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، عيون البصائر، لبنان.
2. محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، مكتبة الرضوان، ط1، الجزائر، 2008.
3. محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، (د. ت).

المراجع:

1. إبراهيم مشروح، عبد الرحمان طه، قراءة في مشروعه الفكري، ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2009.
2. عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر،2009.
3. عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر،1983.
4. علي خذري، التاريخ العربي ومناهج الفكر الحديث، سؤال نقد العقل العربي في مشروع الجابري، منشورات جامعة فيلاديلفيا، ط1، الأردن ،2019.
5. محمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1967.

الأطروحات الجامعية:

1. درماني خلود، الإيقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، سوريا ،2004.